

zoom

قبلة الأفلام التسجيلية في العالم العربي؟

رغم غياب الدعاية والتمويل الكافيين، استطاع المهرجان بلوغ دورته الثالثة بنجاح. ما يعني «أن هناك جمهوراً مهتماً بالفيلم التسجيلي» كما يستخلص المخرج عمر أميرالي

دعشة... وسام كنعان

قبيل انطلاق الدورة الثالثة من مهرجان «أيام سينما الواقع» DOXBOX بعد غد الأربعاء، عقدت أسرة المهرجان مؤتمراً صحافياً في فندق «برج الفردوس» في دمشق، أعلنت فيه أسماء الأفلام المشاركة ومواعيد عرضها. عضو اللجنة التنظيمية للمهرجان عروة نيربية أعلن أن «أيام سينما الواقع» تشتمل على تظاهرات مختلفة، أولها «روائع المهرجان» التي تقدم تحية إلى رواد الفن التسجيلي في العالم. وهناك أخرى مخصصة لـ «أصوات من سوريا»، سينال أحد أفلام المشاركة فيها «جائزة صورة» المستحدثة، التي تقدمها شركة «صورة للإنتاج الفني»، بمبادرة من صاحبها المخرج حاتم علي. كذلك تنتظر مواعيد خاصة مثل «رجال ونساء» و«الطبقة العاملة تذهب إلى الجنة». ومن بين البلدان الرائدة في السينما التسجيلية والمشاركة بقوة في المهرجان هذا العام، ذكر عروة نيربية لبنان، الذي يشارك بأربعة أفلام («1958» لغسان سلهب، و«هوامش الساحة» للارا المرسيغي، و«العمة هالا» لسارا حيدر، و«12 لبناني غاضب» لزينة دكاش) وبولونيا التي تشارك بسبعة أفلام. لم تقف ظروف الإنتاج السينمائي المتردي في سوريا في وجه منظمي «أيام سينما الواقع»، الذي مثل أول مهرجان للسينما التسجيلية في سوريا. ورغم استقطابه نسبة كبيرة من الجمهور في ثلاث محافظات هي دمشق وحمص وطرطوس، فإن هناك بعض الأصوات التي ما زالت ترى أنه لا وجود لأي مهرجان خاص بالسينما الوثائقية والتسجيلية في سوريا. لكن التظاهرة بلغت دورتها الثالثة بنجاح مع غياب الممول والراعي الحقيقي لها، إذ بدأت في ظل احتفالية «دمشق عاصمة الثقافة العربية 2008» واستمرت بعد الاحتفالية بفضل

شبكة تعاون مع بعض المهرجانات الأخرى، كـ «مهرجان أمستردام الدولي»، و«الصندوق العربي للثقافة والفنون» وبعض المراكز الثقافية. «الممولون وأصحاب المال لا يغامرون بدعم المشاريع الثقافية غير الربحية» يقول عروة نيربية، الذي هو أيضاً أحد الأعضاء المؤسسين لـ «أيام سينما الواقع». ويضيف في حديثه لـ «الأخبار»: «نقدم إلينا «المؤسسة العامة للسينما» صالتي عرض وأجهزة، إضافة إلى تكاليف مشاركة الضيوف، وهي خدمات عينية، لكنها لو حُسبت كمبالغ نقدية، لكانت أرقاماً كبيرة بالنسبة إلينا».

لكن حتى الآن، لم يحظَ المهرجان بشهرة تجعله معروفاً لدى غالبية الجمهور السوري، وتمهد الطريق أمام التجارب الشابة التي ترغب في المشاركة فيه. هنا يجب عروة نيربية «لا يمكننا الحصول على تلك الشهرة إلا من خلال رصد ميزانية كبيرة للإعلان وهو ما نفتقده. هذه السنة، ركزنا على الشق الإعلاني، وأعلننا الفعالية في وكالة الأنباء الوطنية والصحف الرسمية، وبعثنا آلاف الرسائل الإلكترونية إلى كل من نعرف أنه مهتم». وعن لجان قبول الأفلام، يوضح نيربية «اخترنا لجنة حيادية قدر الإمكان».

إذاً ستُنطلق الدورة الثالثة محتفية ببعض رواد السينما

من فيلم «12 لبناني غاضب» لزينة دكاش

هي راعية المهرجان، وأميرالي هو أحد أعضاء اللجنة الاستشارية فيه. لكن المخرج السوري يرى أن تعاونه قائم مع جهة مستقلة هي شركة «برواكشن فيلم»، المنظمة للمهرجان. ويصرّح لـ «الأخبار»: «المهرجان مناسبة مهمة جداً لإطلاع الشباب المحب للسينما على جنس فيلمي مهمّ. الفيلم التسجيلي فيلم جدي للغاية. وعندما تصل وسيلة التعبير فيه إلى مستوى فني معين، ينتفي التمايز بين روائي وتسجيلي، ويصبح الشريط التسجيلي فيلماً روائياً بكل معنى الكلمة». ويرى أميرالي أن استمرار المهرجان وبلوغه دورته الثالثة يعنinan أن هناك جمهوراً مهتماً بالفيلم التسجيلي، لكن لا يمكن أي تجربة أن تمر من دون عثرات ونقاط ضعف.

ويرى صاحب «الطوفان» أن عدم معرفة بعض السينمائيين الشباب بالمهرجان للمشاركة فيه، أمر لا يتحمل مسؤوليته المهرجان وحده... إذ إن على الفنانين الشباب أن يبذلوا جهداً أيضاً في البحث عن فضاءات تتسع لتجاربيهم. فيما يحتمل مسؤولية استيعاب كل هذه التجارب الشابة، في غياب مهرجانات مماثلة، للجهات الرسمية، التي يفترض بها أن تبادر إلى خلق هذه المهرجانات، ويرى أن هذا الواقع لا يقتصر على السينما التسجيلية فقط بل يطاول الروائية

التسجيلية الذين يزورون الوطن العربي للمرة الأولى، على رأسهم صاحب «معركة تشيلي» باتريسيو غوسمان، إضافة إلى الأميركي د. أ. بينيبيكر. والجديد هذا العام هو تظاهرة الأفلام السورية، وتعزيز الحضور اللبناني، الذي يعده فريق المهرجان إحدى أهم الإضافات قياساً بالدورتين السابقتين. هكذا، ستشهد صالنا «الكندي» و«الحمراء» في دمشق حركة غير اعتيادية لعرض أفلام المهرجان، وكذلك الأمر بالنسبة إلى صالة «الكندي» في حمص، وصالة «سينما طرطوس».

وقد يكون المهرجان المناسبة الوحيدة التي استطاعت في السنوات الأخيرة أن تجمع اسم المخرج السوري عمر أميرالي و«المؤسسة العامة للسينما» في احتفالية واحدة، رغم ما يعرف من خلاف بينهما.



يشارك لبنان بقوة هذا العام من خلال أربعة أفلام



أيضاً. ويختم قائلاً «إذا كتب لهذا المهرجان الاستمرار، فسوف يتحول إلى مؤسسة فنية تعنى بالفيلم التسجيلي، وسيصبح واحداً من أهم المهرجانات العربية على الإطلاق. لكنني دائم القلق، وأضع يدي على قلبي خشية توقف هذه التجربة».

من جانب آخر، سيمر مهرجان DOX BOX من دون علم بعض

السينمايين السوريين. المخرج سمير ذكرى مثلاً لم يسمع عن المهرجان سابقاً، ولم يحضر أبداً من عروضه. كذلك الكاتبة ريماء فليحان، التي تقول لـ «الأخبار»: «رغم محبتي الكبيرة للسينما التسجيلية، فإنني لم أسمع عن إقامة هذا المهرجان سابقاً». فيما يواظب بعض المثقفين على الحضور طوال أيام المهرجان، كالفنان فارس الحلو والممثلة مي سكاف والكاتب خالد خليفة، الذي يقول لـ «الأخبار»:

«أيام سينما الواقع» هي أهم تظاهرة غير رسمية في سوريا. تابعت أجمل الأفلام التسجيلية من خلالها». ويضيف صاحب «مدح الكراهية»: «يقدم المهرجان ثقافة حقيقية تتعدى حالة الاستعراض التي تطغى على بعض المهرجانات. وهو مشغول بتكشف وببساطة من دون أن ينقصه العمق. وعلى الرغم من غياب الدعاية، فإنه يتجاوز بطموحه مجرد الشهرة، فاستمرارية هذه التجربة قد تجعل سوريا الحاضن الأساسي لأهم الأفلام الوثائقية في العالم».

إذاً عدد قليل من صالات السينما في سوريا ستدب فيها الحياة أياماً قليلة. وعلى الرغم من أن منظمي المهرجان لا يعتصمون ببدلات رسمية وربطات عنق، ولا يتكلمون بجمال خاص يتأملونه، ويشربون العرق، وينشدون الأغاني، ويحتفون بعضهم ببعض ويتبادلون الأفكار ومتعمهم الصغيرة. سيستكمل الفيلم تلك العوالم مع شاب اسمه هيثم، يجد في الفن معينا له على أرقه المزمّن، وفي «الحصى» ما يصنع منه أشكالاً



المختارات الرسمية

تضم لأحنة «المختارات الرسمية» 11 فيلماً: «1958» لغسان سلهب (الصورة)، و«12 لبناني غاضب» لزينة دكاش، و«العمة هالا» لسارا حيدر، «ستة أسابيع» لماريسن جانوس كروزبك، و«المحظوظون» توماس وولسكي، و«الأم» جاكوب بيانيك، «اسكان» لفريدريك ديبيكوم، «كان يا ما كان في هذا الزمان» لهشام بن عمار، «لو كان للضباب جذور» لدنيا بوفيت وولتيك، «بشرة جديدة» كلارا ايلالوف، و«خرائط فيديو: عابدة، فلسطين» لتيل روسكنز.

لقطة مقربة

نضال حسن ينتظركم في «جبال الصوان»

زياد عبد الله

كلمتان فقط كانتا كافيتين لإلغاء تصوير فيلم «صلاة الغائب» للمخرج السوري نضال حسن (1973).

الذي تُنجه مؤسسة «موسيفيلم» الروسية و«المؤسسة العامة للسينما» في سوريا، ألغى تصويره بعدما رفض حسن الامتثال لطلب المؤسسة بحذف

مشهد يُشرب فيه العرق، إضافة إلى مشهد آخر وُصف بـ «الجنسي»! لكننا في فيلم حسن السابق «جبال الصوان»، الذي يُعرض في مهرجان

DOX BOX، شاهدنا تقطير العرق، ورأينا كيف يذرف «دمعة العرق» من بقطرته في جبال الساحل السوري، ولا نعرف كم من الحذف كان سيطاول هذا الفيلم لو قدّمه نضال حسن إلى المؤسسة؛ وعلى هدى الاجتهادات الرقابية، فإن «جبال الصوان» سيعد وثيقة إدانة كحولية! في هذا الفيلم، يقصد السينمائي الشاب جبال الساحل السوري، وتحديداً قرية حمام القراحلة. وبمجرد أن يسأله لقمان علي، صاحب المواويل الحزينة «شو عم تصورا؟» تقع الكاميرا في غرام تلك القرية.

كل ما يحيط بنضال حسن سيدفع به إلى الإجابة عن هذا السؤال، من خلال كاميرا شغوفة بالمكان

وبالطبيعة التي تملأ العدسة بجمال متوسطي خاص... لا بل إن ذلك سيدفعه ليكون راوي الفيلم، وهو يوضح سبب وقوعه في شباك المكان، ومن ثم ساكنيه... وعلى رأسهم حكمت عدرة، الفنان الفطري الذي نتعب حياته وهوسه بالصخور والأحجار، وخروجه بمنحوتات يحافظ فيها على عفوية الطبيعة، وصياغاتها التي يجدها الأسمى والأكثر إبداعاً.

هذا الهوس سيدفع بحكمت إلى هجران كل شيء، بما في ذلك مهنته كعالم بناء، وحتى أولاده الثلاثة الذين «نزّلوا إلى المدينة بينما صرت أصعد إلى الجرد»، حسبما يقول. حكمت عدرة يرينا كيف صنع من

الصخور تمثال امرأة ترتدي قبعة ونظارة، لكن هذه النظارة لم تمنع عنها الدموع، وغيرها من منحوتات تحمل قراءته لها جمالية خاصة. عالم هذا النحات سيفتح على العوالم التي يلتقيها مع أشباهه، وجميعهم متفقون على تقديس الطبيعة والاحتراف بها. يعيشون عزلتهم وهم يقرأون ويبدعون ويستمتعون بجمال خاص يتأملونه، ويشربون العرق، وينشدون الأغاني، ويحتفون بعضهم ببعض ويتبادلون الأفكار ومتعمهم الصغيرة.

سيستكمل الفيلم تلك العوالم مع شاب اسمه هيثم، يجد في الفن معينا له على أرقه المزمّن، وفي «الحصى» ما يصنع منه أشكالاً



فريدة. إنه لا يبالي إلا باستمتاعه بها، كرهان شخصي يستوقف المشاهد. «جبال الصوان» فيلم بيئي مصنوع شغف وبتحقيق للمشاهد أن يتعرف على حراس الفطرة، وكيف أصيب حكمت عدرا بلوثة الفن، ويراهن على الجمال للتواصل مع محيطه.